

## صيد الخاطر

340 - - فصل : يغوص البحر من طلب اللآكي .

ما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق العلم و العاشق ينبغي أن يصبر على المكاره .  
و من ضرورة المتشاغل به البعد عن الكسب و مذ فقد التفقد لهم من الأمراء و من الإخوان  
لازمهم الفقر ضرورة .

و الفضائل تنادي { هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا } .  
فكلما خافت من ابتلاء قالت : .

( لا تحسب المجد تمرا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا ) .

و لما آثر أحمد بن حنبل e طلب العلم و كان فقيرا أبقى أربعين سنة يتشاغل به و لا  
يتزوج فينبغي للفقير أن يصابر فقره كما فعل أحمد .

و من يطيق ما أطاق ؟ فقد رد من المال خمسين ألفا و كان يأكل الكامخ و يتأدم بالملح .  
فما شاع له الذكر الجميل جزافا و لا ترددت الأقدام إلى قبره إلا لمعنى عجيب .

فيا له ثناء ملاً الآفاق و جمالا زين الوجود و عزا نسخ كل ذل .  
هذا في العاجل و ثواب الآجل لا يوصف .

و تلمح قبور أكثر العلماء لا تعرف و لا تزار ترخصوا و تأولوا و خالطوا السلاطين فذهبت  
بركة العلم و محى الجاه و وردوا عند الموت حياض الندم .

فيا لها حسرات لا تتلافى و خسارنا لا ينجبر و كانت صحبة اللذات طرفة عين و لازم الأسف  
دائما .

فالصبر الصبر أيها الطالب للفضائل فإن لذة الراحة بالهوى أو بالبطالة تذهب و يبقى  
الأسى و قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : .

( يا نفس ما هو إلا صبر أيام ... كأن مدتها أضغاث أحلام ) .

( يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة ... و خل عنها فإن العيش قدامي ) .

ثم أيها العالم الفقير أيسرك ملك سلطان من السلاطين و أن ما تعلمه من العلم لا تعلمه ؟

كلا ما أظن بالمتيقظ أن يؤثر هذا .

ثم أنت إذا وقع لك مستحسن أو معنى عجيب تجد لذة لا يجدها ملتذ باللذات الحسية .

فقد حرم من رزق الشهوات ما قد رزقت و قد شاركهم في قوام العيش و لم يبق إلا الفضول  
الذي إذا أخذ لم يكدر يضر .

ثم هم على المخاطرة في باب الآخرة غالبا و أنت على السلامة في الأغلب .  
فتلمح يا أخي عواقب الأحوال و اقمع الكسل المثبط عن الفضائل .  
فإن كثير من العلماء الذين ماتوا مفرطين يتقلبون في حسرات و أسف .  
رأى رجل شيخنا ابن الزغواني في المنام فقال له الشيخ : أكثر ما عندكم الغفلة و أكثر ما عندنا الندامة .

فأهرب وفقك □ قبل الحبس و فسخ عقد الهوى على الغبن الفاحش .  
و اعلم أن الفضائل لا تنال بالهويناء و أن يسير التفريط يشين وجه المحاسن .  
فالبدار البدار و نفس النفس يتردد و ملك الموت غائب ما قدم بعد و انهض بعزيمة عازم .  
( إذا هم ألقى بين عينيه عزمة ... و نكب عن ذكر العاقب جانبا ) .  
( و لم يستشر في أمره غير نفسه ... و لم يرض إلا قائم السيف صاحباً ) .  
و ارفض في هذه العزيمة الدنيا و أربابها فبارك □ لأهل الدنيا في دنياهم فنحن الأغنياء و هم الفقراء .

كما قال إبراهيم بن أدهم : [ و لو علم الملوك و أبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ] .

فأبناء الدنيا أحدهم لا يكاد يأكل لقمة إلا حراما أو شبهة .  
و هو و إن لم يؤثر فوكيله يفعل و لا يبالي هو بقلة دين و كيله .  
وإن عمروا دارا سخروا الفعلة و إن جمعوا مالا فمن وجوه لا تصلح ثم كل منهم خائف أن يقتل أو يعزل أو يشتم فعيبهم نقص .

و نحن نأكل ما ظاهر الشرع يشهد له بالإباحة و لا نخاف من عدو و لا ولايتنا تقبل العزل .  
و العز في الدنيا لنا لا لهم و إقبال الخلق علينا و تقبيل أيدينا و تعظيمنا عندهم كثير .

و في الآخرة بيننا و بينهم تفاوت إن شاء □ تعالى .  
فإن لفت أرباب الدنيا أعناقهم يعلمون قدر مزيتنا .  
و إن غلت أيديهم عن إعطائنا فلذة العفاف أطيب و مرارة المن لا تفي بالمأخوذ و إنما هو طعام دون طعام و لباس دون لباس و إنها أيام قلائل .

و العجب لمن شرقت نفسه حتى طلب العلم إذ لا يطلبه إلا ذو نفس شريفة كيف بذل لبذل من لا عزة إلا بالدنانير و لا مفخرة له إلا بالمكنة و لقد أنشدني أبو يعلى العلوي :

( رب قوم في خلائقهم ... عرر قد صيروا غررا ) .

( ستر المال القبيح لهم ... سترى - إن زال - ما ستر ) .

أيقظنا □ من رقدة الغافلين و رزقنا فكر المتيقظين .

و وفقنا للعمل بمقتضى العلم و العقل إنه قريب مجيب